

التعليم ودوره في التنمية الشاملة

د. حميد وش علي*

معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير-المركز الجامعي بالمدينة

- ◀ مقدمة
- ◀ أهمية نشر التعليم لاكتساب المعرفة
- ◀ اكتساب المعرفة للتطوير قدرات الفرد العلمية
- ◀ أهمية التعليم في التطور الاقتصادي
- ◀ تحسن جودة التعليم ودوره في التنمية
- ◀ مجتمع المعرفة ينتج مواطنة نشطة ومسؤولة
- ◀ التعليم والنمو: دور رأس المال البشري
- ◀ تجربة مساهمة رأس المال البشري في التنمية في بلدان شرق آسيا
- ◀ الخلاصة

مقدمة:

يعد التعليم مفتاح التنمية، غير أن هذا لا يحدث تلقائيا لتظهر آثاره مباشرة، وفي نفس الوقت ليس أي تعليم، إنما التعليم الهادف الذي يرتبط باستيعاب العلوم كافة ويساير ركب قاطرة التقدم ويستفيد من ميراث الإنسانية جمعاء، ويحول العلم إلى تقنية، وحيث يبذل المتعلم ويخترع ويعمل باختراعه، وهنا تلعب مراكز الدراسات ومخابر البحوث الدور الأكبر في ذلك بتفاعل قائم و مستمر بين الجامعات والمؤسسات في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية تحت إشراف هيئات عمومية تكفل تفعيل هذا الترابط وديمومته، وحتى توفير المصادر المالية الكافية له، وباختصار فإن تحصيل التعليم واكتساب المعرفة هو الذي يحدد المكانة اللائقة في البلاد.

1. أهمية نشر التعليم لاكتساب المعرفة:

تكتسب قضية التعليم والتعلم أهمية قصوى في عالم لم يعد يعترف إلا بالثروة البشرية كثروة وحيدة، فالذين يقومون بإعادة تخطيط الخريطة العالمية يعلمون جيدا أن مستقبل الأقطار البشرية مرهون بالتعليم واكتساب المعرفة.

* أستاذ مساعد مكلف بالدروس (المركز الجامعي بالمدينة).

المعظم من تعليم، واكتساب المقدرة على التعلم من الحاجات
في أي زمان، وتتضاعف أهمية هذه الحاجة كلما كان هذا
في منطقة تقع في بؤرة الأحداث الاقتصادية والسياسية

لا يمكن إغفال العلاقات الجوهرية بين إشباع حاجة الإنسان إلى التعليم
والشباب الكثير من حاجاته الأخرى، فالتعليم الجيد والمنسجم مع
سوق العمل يمكن الإنسان من الحصول على فرصة عمل مناسبة
وله نظر يمكن إشباع كثير من حاجاته وهي في الوقت ذاته أداة فعالة
للمساهمة في رقي الدول بما يسهم في تفعيل نمو مؤسسته التي تعضد
الاقتصاد داخل الوطن وتسهم في نموه وتطوره، لذا يقتضي في عملية
اكتساب المعرفة التركيز على الجوانب التالية: ²

التعليم كحق إنساني أساسي، يهدف إلى تحسين وضع البشر، ولا يقتصر
الأمر على تحضير البشر للعمل فقط.

التركيز على ربط التعليم باحتياجات سوق العمل.

الاهتمام بتوفير التعليم كأداة لاكتساب التقانة (التكنولوجيا).

غير أن ربط التعليم باكتساب التقانة يتم بالتركيز على التعليم التقني
والكريب المهني بدل التوسع في التعليم العام، وقد طرح مع نهاية الستينات
تساؤل حول العلاقة بين زيادة الاستثمارات في التعليم والتدريب وبين
المهارات والمهن المحددة التي يتطلبها المجتمع، في محاولة تحديد أهمية
دور التعليم في التنمية. ³

إن تحديد فعالية التعليم واكتساب المعرفة في النواحي الاقتصادية
الاجتماعية يتطلب الأمر مقايسة ومقاربة المؤشرات التعليمية لبلد ما مع
البلدان الأخرى وخصوصا المتقدمة، وفي مجال النشر الكامل للتعليم راق
النوعية مع إيلاء خاصة لطرق التحصيل التعليمي، والتعلم المستمر مدى
الحياة، لذا تتضمن المقترحات في مجال إصلاح التعليم إعطاء أولوية للتعلم
في مرحلة الطفولة المبكرة، وتعميم التعليم الأساسي للجميع مع إطالة أمده،
واستحداث نسق مؤسسي لتعليم الكبار مستمر مدى الحياة وترقيته، وإعطاء
اهتمام خاص بالنهوض بالتعليم العالي، والالتزام بالتقييم المستقل والدوري
للنوعية في مراحل التعليم كافة. ⁴

وفي محاولة تحديد الارتباط بين التعليم والتنمية، طرحت أحد وثائق برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الصادرة عام 1987، انه يجب تحليل ثلاث قضايا رئيسية خاصة بالتعليم هي:⁵

أولا : الحاجة إلى تحديد الأولويات بين مختلف المستلزمات وأنواع التعليمية.

ثانيا: التركيز على تعليم المرأة.

ثالثا: إعادة توجيه النظم التعليمية لتوفير المهارات البشرية آخذين بعين الاعتبار

واقع التكنولوجيا الجديدة، ويجب إيلاء أهمية أكبر للتعليم الابتدائي للوصول إلى الالتحاق شامل بالتعليم، وإلى معدلات أعلى من الإلمام بالقراءة والكتابة.

رابعا : التركيز على التعليم متعدد القنوات كعملية ديناميكية جماعية قائمة على المشاركة والتفاعل بين أطرافه، حيث يكون جميع المشاركين فيها معلمين ومتعلمين في الوقت نفسه، وهو يهدف إلى تطوير معلوماتهم وإنتاج المزيد منها والتفكير في أفاق جديدة لتوظيفها في المجالات التنموية المختلفة.⁶

وتؤكد البحوث العلمية باطراد على أهمية قصوى لسنوات الطفولة المبكرة في تشكيل العقل البشري، وتحدد مدى إمكاناته المستقبلية، الأمر الذي يبرز الحاجة إلى التركيز على التعليم قبل المدرسي.⁷

ولعملية التعليم والتعلم أهمية قصوى في منظومة المعرفة، ويترتب على هذه العلاقة المحورية أن يعتبر رأس المال البشري بمعنى جماع المعارف والقدرات والمهارات التي يكتسبها البشر في المجتمع عبر التعليم والخبرة، العملية وهي النواة الصلبة نسبيا لرأس المال المعرف.⁸

وهنا يقتضي الأمر توطيد العلم وبناء قدرات ذاتية في البحث والتطوير التقني في جميع النشاطات المختلفة، من خلال تشجيع البحث الأساسي، وإقامة نسق للابتكار يتمركز في كل بلد (قطريا)، ويتخلل النسيج المجتمعي بأجمعه، مع استكمالته وتعزيزه بإمدادات عربية ودولية، وينبغي الإسراع في تطبيق تقانات المعلومات والاتصالات في إطار من السياسات والحوافز التي تشجع على الوصول إلى المعلومات.

والتي تحول الحث نحو نمط إنتاج المعرفة في البنية الاجتماعية والاقتصادية من خلال التوجه نحو تطوير الموارد القابلة للتجديد، اعتماداً على القدرات التقنية والمعرفية الذاتية، وتنويع البنى الاقتصادية والأسواق، كما يجب تطوير وجود أقوى في الاقتصاد الجديد.

2. اكتساب المعرفة لتطوير قدرات الفرد العلمية:

يطلب اكتساب المعرفة العلمية توافر تربية علمية مناسبة في المدارس، حيث يتم تعليم العلوم في المدارس بكونها مترامية الجوانب وشديدة التقيد والصعوبة مما لا يسمح بالتعرض لها تفصيلياً في هذا المقال، حيث تنال الملاحظة الأولى في أن تعليم العلوم يجب أن يعم الطلبة جميعهم.

فالتعليم العلوم في المدارس الابتدائية والثانوية يجب أن يحقق عدة أهداف، إذ يتعين على هذه المدارس إعداد الطلبة الذين سيواصلون دراسة العلوم والهندسة في المعاهد التقنية أو التكنولوجية والكليات والجامعات ليصبحوا علماء ومهندسين يشغلون مراكز بالغة الأهمية في التنمية الاقتصادية والصناعية للأمم المعاصرة ويجب أن تعمل المدارس أيضاً على إعداد القوة العاملة المطلوبة للصناعات القائمة على العلم ولمؤسسات الأعمال التي تحتاج إلى عمالة ماهرة.⁹

إن رأس المال البشري-التعليم والمهارات- هو في واقع الأمر سلاح حيو في الحرب ضد الفقر، وإذا أرادت البلدان الفقيرة أن تحقق نمواً اقتصادياً أسرع وهو شرط ضروري لتقليل أعداد الفقر فإنها ستحتاج لقوة عمل ذات مستوى تعليمي أعلى وحتى التعليم الابتدائي يمكن أن يكون مجزياً بشكل كبير، وقد تبين أن الاستثمار في التعليم الابتدائي قد أثمر عوائد أعلى من الاستثمار في رأس المال المادي، إذ تتراوح التقديرات بين 11% إلى أكثر من 30%، والاستثمار في تعليم البنات يعطي عوائد أكبر بشكل خاص.

يبقى القول بأن رأس المال البشري لن يحقق بذاته وبمجرد حدوثه النمو الاقتصادي وتخفيض أعداد الفقراء إذ أن النمو الاقتصادي ينتج من التفاعل بين الاستثمارات في رأس المال البشرية والمادية والمؤسسية وتفاعل التعليم مع الاستثمارات الأخرى.¹⁰

* قد كانت أول مرة اتفق فيها المجتمع الدولي على السعي من أجل تعميم التعليم الابتدائي على النطاق العالمي في المؤتمر الدولي للتعليم للجميع المنعقد في مدينة جو متين في تايلاند في عام 1990.

3. أهمية التعليم في التطور الاقتصادي:

إن القطاع الإنتاجي لاقتصاد أية دولة متقدمة صناعيا يتطلب قوة عاملة تمتلك المعرفة العلمية، ومن ثم فإن الرفاهية الاقتصادية لأي دولة تعتمد على ارتفاع المستويات العلمية والتقنية فيها، وإذا كانت الفتوحات العلمية والهندسية تشكل أساس الإنتاجية الصناعية فإن التطور الصناعي والاقتصادي هما نتاج مباشر لتطويع الأفكار العلمية، مثل استنباط مواد وسيرورات تصنيعية مستجدة والارتقاء بالإنتاجية و أداء العاملين وضبط نوعية المنتجات واجتذاب المستهلك والتسويق، إلا أنه من المؤكد أيضا أن التنمية الاقتصادية تعتمد على العلماء والمهندسين كمكتشفين ومخترعين وعلى من يقومون بتطوير ما يكون قد تم ابتكاره، غير أن التطبيق الناجح لهذه الابتكارات، يعتمد على وجود كوادر من العاملين المتعلمين ذوي المهارة في تشغيل الآلات والحواسيب ومراكز التحكم ومعالجة المعلومات الكمية والمواد.¹¹

4. تحسين جودة التعليم ودوره في التنمية:

من البديهيات التي قد لا تحتاج للتذكير أن التعليم عالي الجودة هو مفتاح بناء مجتمع المعرفة، وطبقا لما ورد في تقارير التنمية البشرية فقد أدت مشكلات قصور الجودة وغياب الارتباط بالواقع المعاش (خصوصا في التعليم العربي)، إلى تعارض كبير بين سوق العمل واحتياجات التنمية من جهة، مخرجات نظم التعليم من جهة أخرى، ومثل هذه الحال تؤدي إلى ضعف الإنتاجية وعدم توازن هياكل الأجور وضالة العائد الاقتصادي والاجتماعي من التعليم.

ويتطلب سوق العمل في عصر المعلومات الحالي نوعا مختلفا من التعليم نوعا يفرز كفاءات وسلوكيات ومرونة فكرية لا غنى عنها في أساليب التفكير المنظومي والنقدي التي تحتمها النظم الاقتصادية المعاصرة المؤسسة على المعرفة.

إن دواعي إصلاح نظم التعليم في عالمنا العربي على وجه التحديد، يتطلب إحداث تغيير جذري في مؤسسات التعليم العالي لتحسين جودة التعليم، وفي هذا الصدد يدعم المكتب الإقليمي للدول العربية التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي برنامجين على المستوى الإقليمي يستهدفان رفع جودة التعليم ويركز على جانبين.¹²

تتطلب القول: يركز على ضرورة تطوير الدول العربية لإستراتيجيات
تتطلب متابعة لتحسين جودة التعليم بكافة مستوياته، ولمعالجة القصور
التي من تلك البلدان في البيانات الدقيقة التي يمكن الاعتماد عليها لتقييم
مؤشرات المؤسسات التعليمية.

إن بناء قدرات الأفراد يمثل في حد ذاته غاية هامة، وبالأخص في
العربية، حيث يمثل رأس المال البشري غير المستغل أهم مورد
للتنمية وأكثرها استمرارية، ولكن يبقى أن يتحرر رأس المال هذا من القيود
التي تكبله، وأن يتم تنميته وتعبئته في إطار نهضة عربية شاملة في القرن
الطبي والعشرون.

الطابق الثاني: يقوم بتطوير نظم الإدارة للبيانات الإحصائية بهدف تحسين
التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي، بما يمكن الجامعات المشاركة في
إنتاج بيانات موثقة حول كافة مجالات أنشطتها لدعم اتخاذ القرار فيها،
بمض تطوير السياسات التعليمية وفي نفس الوقت يسمح للجامعات إمكانية
الحصول على البيانات والاطلاع على المؤشرات المستخدمة.

5. مجتمع المعرفة ينتج مواطنة نشطة ومسئولة:

تتجلى القيمة الحقيقية للتعليم عندما يبدأ الأشخاص المتعلمين في
استخدام ما حصلوا عليه من معارف وما اكتسبوه من مهارات حياتية
للإسهام في تنمية مجتمعاتهم، حيث لا يستطيع أن يلعب دورا فاعلا بحق في
المجتمع سوى هؤلاء المعلمين والمتقنين، وفي هذا الصدد يعتبر الحصول
على المعلومات والمعرفة واستخدامها هي مفاتيح كل صور المشاركة في
الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ومكونا حيويًا لإرساء قيم الديمقراطية.¹³
إنه من خلال التعليم الذي يمكن أن يحصل عليه الجميع، والذي يقوم
عليه مدرسين مهرة متحمسون ويستند إلى أساليب تربوية حديثة يمكن غرس
ثقافة لمواطنة مسئولة ونشطة تدعم نشأة مجتمع المستفيدين ويتمتع فيها كل
المواطنين بوسائل المشاركة في تنمية بلادهم وتحذوهم الرغبة في ذلك أيضا.

14

6. التعليم والنمو: دور رأس المال البشري:

يعتبر التعليم واحد من العوامل الرئيسة المحددة للنمو الاقتصادي منذ
الأيام الأولى لوضع النظرية الكلاسيكية الحديثة في النمو، ويمثل تراكم
رأس المال البشري الرابطة الأولية بين التعليم والنمو، ومن أجل فهم دور
التعليم في عملية النمو يتعين على المرء أن يفهم دور رأس المال البشري
فيها.

فقد ركزت العديد من الدراسات النظرية والعملية بشأن النمو الاقتصادي على رأس المال البشري - المعرف بمستوى المهارات والمعارف - كواحد من عوامل الإنتاج الممكن تراكمها مع مرور الوقت، ويفترض في هذه النماذج الرياضية أن إنتاج السلع والخدمات دالة متزايدة ليس مع مستوى رأس المال المادي والأيدي العاملة فحسب، بل أيضا مع البشري عملية النمو ويتبع دور التعليم ذلك بصورة طبيعية تماما، إذ يعتبر التعليم على أي مستوى كان من بين الأشكال الرئيسية للاستثمار في رأس المال البشري، وبالتالي يتعين أن تكون جهود البلد المعني التعليمية من حيث الإنفاق والنوعية مرتبطة إيجابيا بنمو رأس المال البشري، وعلى هذا الأساس يفترض في كثير من الأحيان أن يكون الإنفاق على التعليم مكافئا للاستثمار في رأس المال البشري، وركزت الأدبيات أيضا في الآونة الأخيرة على الروابط غير المباشرة بين التعليم والنمو الاقتصادي، استنادا إلى العلاقة بين تنمية رأس المال البشري والزيادات المتحققة في الإنتاجية الكلية لعوامل الإنتاج وتشمل هذه الإنتاجية الكلية الكفاءة التي تستخدم بها كافة عوامل الإنتاج فالتحسينات في التكنولوجيا - التي يشمل تعريفها الواسع تنظيم عمليات الإنتاج - تزيد إنتاجية كافة عوامل الإنتاج.

وبالتالي ترفع الإنتاج الكلي وتنشأ الرابطة غير المباشرة بين نمو رأس المال البشري والنمو الاقتصادي إذا ارتبط مستوى رأس المال البشري ارتباط إيجابيا بمستوى التكنولوجيا المستخدمة في الأنشطة الاقتصادية، فعلى سبيل المثال يسهل ارتفاع مستوى المعارف والمهارات اعتماد وتنمية وتطبيق التكنولوجيا في مجال الإنتاج.¹⁵

7. مساهمة رأس المال البشري في تجربة التنمية في بلدان شرق آسيا: بدأت بلدان شرق آسيا نموها السريع بمزجة تعليمية تفوقت بها على اقتصاديات البلدان النامية الأخرى وعملت على المحافظة على هذه الميزة عن طريق سياسات واضحة للاستثمار في التعليم الأساسي فقد كانت مستويات التعليم الابتدائي والثانوي أعلى في هذه الاقتصاديات في أعوام الستينات عنها في الاقتصاديات الأخرى ذات الدخل المنخفض والمتوسط وقد تركز الإنفاق العام على التعليم الابتدائي والثانوي وقد استخدمت الاعتمادات المالية المحدودة المخصصة للتعليم فيما بعد المرحلة الثانوية أساسا لتعليم العلوم والتكنولوجيا بما ذلك علوم الهندسة.¹⁶

الخلاصة

تطرح إشكالية تطوير التعليم وتنمية المعرفة إمكانية تحسين الأداء الاقتصادي للمؤسسات المجتمعية وهنا تفعل الرابطة الإيجابية للتعليم واكتساب المعرفة على النمو الاقتصادي الذي تؤدي ديمومته على التنمية الشاملة، هذه الأخيرة التي ستعكس على أحوال البشر داخل البلد وهي تكمل الحقة بين الأهداف المشتركة للتعليم والتنمية و هي الغاية التي يفترض أن تسعى لتحقيقها كل الأنظمة السياسية في بلدان العالم المختلفة.

المراجع:

- 1- حامد عمار، مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، مجلة المنتدى، وحدة البحوث السكانية بجامعة الدول العربية، عدد 5، عام 2002 مصر-ص: 12
- 2- جورج القصيبي، التنمية البشرية-مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون- التنمية البشرية في الوطن العربي-، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص: 92.
- 3- نبيل نوفل، البشر والتعليم والتنمية المستدامة، مجلة لمنتدى-، وحدة البحوث السكانية بجامعة الدول العربية، عدد 02، مصر، عام 2001، ص: 9
- 4- رؤى إستراتيجية لإقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية، المجلة العلمية للتنمية، العدد 1، بيروت أبريل 2004، ص: 34
- 5- جورج القصيبي -مرجع سابق- ص: 93
- 6- عبد الباسط عبد المعطى، مفهوم التعلم متعدد القنوات - مجلة لمنتدى- وحدة البحوث السكانية بجامعة الدول العربية العدد 04 عام 2002 مصر- ص: 8
- 7- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002 -جامعة الدول العربية مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2003 نيويورك- ص: 48
- 8- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003 - جامعة الدول العربية مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2004 نيويورك- ص: 90
- 9- فرانسيسكو. يالا، ضرورة اكتساب الجمهور ألقباء المعرفة العلمية-تقرير 1996 عن العلم في العالم -اليونسكو-ترجمة ونشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمي 1997 ص: 4-5
- 10- الان مينجات وكارولين وينتر - Alain Mingat and carolyn winter page -التعليم للجميع بحلول عام 2015-مجلة التمويل والتنمية-صندوق النقد الدولي-مارس 2002-المجلد 39 العدد 1 ص 33 و 35
- 11- فرانسيسكو-ايالا-مرجع سابق-ص: 2، 3
- 12- زاهر جمال، تحويل الأقوال إلى أفعال: دور برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في مجال المعرفة في العالم العربي-السياسة الدولية -نيويورك- ص: 31 و 32
- 13- انطونيو فيجيلانتي، يجب أن يكون التعليم هو محرك قاطرة التنمية في مصر-السياسة الدولية-برنامج الأمم المتحدة الإنمائي- نيويورك- ص: 31 و 32
- 14- نفس المرجع السابق- ص: 31 و 32
- 15- محمد العريان وآخرون، التعليم وتنمية رأس المال البشري والنمو في الدول العربية- صندوق النقد العربي-الندوة المنعقدة في الإمارات العربية المتحدة بين 17-18 ماي 1998 الإمارات ص 36-37
- 16- جون باج - John page -، معجزة بلدان شرق آسيا بناء أساس للنمو -مجلة التمويل والتنمية-صندوق النقد الدولي -مارس 1994-المجلد 31 العدد 1- ص: 2